صورة الطفل في القصة القصيرة جداً في العراق– حمدي مخلف الحديثي اختياراً.

The image of the child in the very short story in Iraq, by Hamdi Mikhlif Al-Hadithi, as a choice.

د. محمد عويد محمد الساير
أستاذ
جامعة الأنبار– كلية التربية الأساسية – حديثة

Dr. Mohammed Awaid Mohammed Al-Sayer
Professor
Anbar University - College of Basic Education - Hadetha

mohammad.woyid@uoanbar.edu.iq

الكلمات المفتاحية: مهاد نظري ، صورة الآخر.. الطفل ، صورة الآخر.. الطفل في قصص حمدي مخلف الحديثي

Keywords: Mahad Nazari, the image of the other... the child, the image of the other... the child in the stories of Hamdi Mikhlif Al-Hadithi

الملخص

بسم الله الرحمن الرحيم، يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل والنقد صورة الطفل في قصص القاص العراقي المبدع حمدي مخلف الحديثي القصيرة جداً. صورة من صور الآخر الاجتماعية والنفسية فضلاً عن أهميتها الأدبية ولا سيما في الجنس النثري الأدبي السردي القصة القصيرة جداً.

المنهجية البحثية التي جاء تحت غطائها العمل ، تكوّنت من مقدمة شرح فيها الباحث أسباب البحث ومنهجه، فمهاد نظري عن صورة الآخر في الأدب والفلسفة وعلم الاجتماع دراسة نقدية جمالية، ومن ثمّ إلى الدراسة النقدية الجمالية التطبيقية لقصص حمدي مخلف الحديثي القصيرة جداً في الأعمال القصصية التي أصدرها.

Abstract

In the name of God, the Most Gracious, the Most Merciful, this research studies, analyzes and criticizes the image of the child in the very short stories of the creative Iraqi storyteller Hamdi Mukhlif al-Hadithi. An image of the social and psychological other, in addition to its literary importance, especially in the narrative prose genre, the very short story.

The research methodology that covered the work consisted of an introduction in which the researcher explained the reasons for the research and its methodology. It is a theoretical introduction to the image of the other in literature, philosophy, and sociology, an aesthetic critical study, and then to the applied aesthetic critical study of Hamdi Mikhlif Al-Hadithi's very short stories in the short stories he published.

Introductory words: Mahad Nazari, the image of the other... the child, the image of the other... the child in the stories of Hamdi Mikhlif Al-Hadithi.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه أستعين في الأحوال كلّها،

يعدُّ القاص العراقي حمدي مخلف الحديثي من أروع كتاب القصة ولاسيما القصة القصيرة جداً في العراق والوطن العربي. إذ إنَّ قصصه هذه تحوي الكثير من الأهداف والمعالجات للواقع وتقدّم الحلول الإيجابية له في الأعمال القصصية التي أصدرها. وكانت صورة الطفل من بين صور الآخر التي ظهرت بشكلٍ مميّزٍ في تلكم القصص ، ومن هنا جاء البحث ليحاور هذه الصورة الواقعية للطفل العربي محاورة نقدية جمالية في قصص القاص المبدع حمدي مخلف الحديثي.

بدءاً صورة الطفل عند هذا القاص صورة تجمع بين البراءة والواقع ، ومنها صورته الشخصية ومشاعره الذاتية أيام كان طفلاً في مدينته الخلّابة الجميلة الحديثة، وذكريات تلك الطفولة بحلوها ومرّها.

البحث تكوّن من مقدمة ، ومن مهاد نظري عرّف بصورة الآخر في الأدب والفلسفة والاجتماع فضلاً عن النص السردي القصصي، ومن ثمّ صورة الآخر الطفل، فالدراسة النقدية الجمالية لصورة هذا الإنسان في قصص حمدي مخلف الحديثي.

الطفل وصورته كان من بين الشخصيات التي حاورها القاص الناقد حمدي في قصصه ، وتداخلت مع العناصر السردية الأخرى من : المكان، والزمن، والحدث. وهناك آليتا الوصف والحوار أيضاً من ملامح القصّ التي أبصرتها عند القاص حمدي إذ استغلّ مثل هاته العناصر والآليات في بناء قصته القصيرة جداً جسداً وحكاية ومضموناً.

- مهاد نظري:

صورة الآخر من ضمن الصور التي تنبثق عن الذات ولاسيما الذات المبدعة في النصوص الإبداعية الأدبية ، من مثل : الشعر بأنواعه ، والرواية ، والمسرحية، والمقالة ، والقصة.

دُرست هذه الصورة – أعني صورة الآخر – في الأدب العربي كثيراً على مرّ عصوره الأدبية من العصر الجاهلي وإلى العصر الإسلامي وإلى العصر الأموي إلى العصر العباسي وإلى العصر الحديث فالعصر المعاصر[1]، ولقد تمخّضت هذه الدراسات الأدبية النقدية الفكرية للنصوص الشعرية والأدبية في تلكم العصور الأدبية من سنّ شجرة أدبنا العربي الباسقة عن :

- البعد النفسي لقضية الآخر والذات ، وهذا البعد يتمثل في الصراع بين هذين المكونين من أجل البقاء والديمومة.
- البعد الواقعي ، وهو آنية الخطاب الأدبي الموجّه بين الآخر والذات في لحظة من لحظات السنّ المعيش، يصوّرها المبدع إبداعاً، قد يتندّم عليه.
- البعد الاجتماعي ، المزج بين المناسبات والحفلات والتهاني والتعازي في فكر الذات المبدعة حين تصوّر الآخر بأنواعه المختلفة.
- البعد الأدبي ، البوح السري الذي يقف خلف الذات حين تمثّل مشاعره علناً من خلال الآخر.
- البعد الفلسفي ، لا يلقاه إلا ذو حظٍّ عظيم في الأدب ونصوصه ، إذ يمثّل هذا البعد الذخيرة الحيّة للمشاعر للذات وهي تعبّر عن الآخر، في حين أنَّ المشاعر واحدة بين الأثنين تمام الوضوح في التجربة والتشكيل والتعبير.

صورة الآخر عند المبدع العربي في أشكال إبداعه الأدبية المتنوعة بين الشعر والنثر كانت متنوعة أيضاً[2] ، بتنوّع ارهاصات الحياة التي عاش ذلك المبدع ومكانه وزمانه والظروف الكثيرة التي تحيطُ به ، وبهما أيضاً. من مثل تلك الصورة ، وجاءت في النصوص الشعرية والنثرية والسردية المعاصرة :

- الآخر والذات[3] ، في النصّ الشعري العمودي ، وفي قصائد التفعيلة، وقصائد النثر ، وقصائد النصّ الأدبي المفتوح . وهذه الذات هي الذات البشرية الأنموذج الأول الذي يأتي في وكد المبدع وما يسيطرُ على مشاعره حين نظم ذلك النص، أو إنتاج ذلك السرد . لعلّ من صورة الآخر البشرية في تلكم النصوص التي تعبّر عن الذات وتحكي للقارئ ما تريد من حكايات تمثّل واقعها ومستقبلها وماضيها :

- الآخر ------ الرجل . في : المديح ، والهجاء، والرثاء ،والغزل ، والاخوانيات، وفي الوصف.

هذا الآخر هو : الشجاعة ، والكرم ، والشهيد ، والمهنئ، والمرثي ، والمعزي، وصاحب الزيارة .... إعجاباً

هذا الآخر هو : الجبن ، والبخل، والمنهزم، والمنكسر، والمسيء ، وصاحب الخديعة .... ذمّاً.

- الآخر ------- المرأة ، في : الغزل ، الرثاء ، والهجاء ، والوصف.

هذا الآخر هي : المحبوبة ، المعشوقة، الأم ، البنت ، الزوج، كريمة الحسب، كريمة سفح المال، الفاتنة الجميلة ... إعجاباً.

هذا الآخر هي : الخائنة ، والغادرة، والسارقة ، ذميمة الحسب ، بخيلة سفح المال، القبيحة السيئة... ذمّاً.

هذا فضلاً عن أسماء وأسماء تأتي في جسد النص الأدبي أحياناً بلا تعاريف أو إشارات تذكر ، وهي تبوح عن مشاعر الذات في أصعب الظروف أو ايسرها ، ويأتي الآخر يشاركها هذا البوح أو يتبرأ منها ، أو يعاديها .

- الآخر والمكان[4] ، الفلسفة المتوقعة للإبداع من الذات في تمثّلها لهذا المكان وأنواعه وأنماطه. ما يهّمنا هو الانفعال الذي يتركه هذا المكان على الذات المبدعة . المكان هو الآخر الذي تلجأ إليه الذات في كل شيءٍ يعتليها ، وتشعر به ، فهي قد :

- تمدح المكان ، في الشعر والنثر وقضايا السرد . مدح البيت والقصر والمسجد والكنيسة والمعبد والنهر والجبل والجزيرة .

- ذمّ المكان ، في الشعر والنثر وقضايا السرد . ذمَ القبر والمشفى ومكان المعركة والمقهى والسجن والشارع ، وربتما البيت والمنزل ... أيضاً في بعض الظروف والحالات .

- هجاء المكان ، في الشعر والنثر وقضايا السرد . هجاء المدينة ، وهجاء البيت ، وهجاء المقبرة ، وهجاء البلد ،وهجاء المقهى ، وهجاء السجن، وهجاء المشفى، وهجاء البيت والمنزل... أيضاً في بعض الظروف والحالات.

- الآخر والزمن[5] ، ما يقبع في ذهن الذات المبدعة تجاه الآخر من تقلّبات للزمن ، وتجلّياته وتبدلّاته المختلفة ، والتي تعكس صورة الآخر في الأدب الذي تبوح به الذات في نوع ما وشكل معين. وهو الآخر والزمن وفلسفته وموقف المبدع منه لا تخرجُ كثيراً عما قدمت فيه القول في الآخر والمكان.

لفت نظري ملياً من طول القراءات المتواصلة للأعمال القصصية القصيرة جداً عند القاص حمدي مخلف الحديثي تشخيصه لصورة الطفل في تلك الأعمال بشكلٍ مؤثر وبارز ، وصورة الآخر --- الطفل تعدُّ إحدى الصور المهمة التي تستنطقها الذات المبدعة اليوم في أدبنا المعاصر ولاسيما في الأدب النثري السردي ، من مثل : الرواية ، والرواية القصيرة ، والقصة

، والقصة والقصيرة، والقصة القصيرة جداً. علماً إنه عُرفت منذ أدب الجاهلية وتطوّرت شيئاً فشيئاً إلى أدبنا العربي الحديث[6] ، فظهرت أسماء لامعة استنطقت هذه الصورة للآخر في أدبها وفي أهداف أدب الطفولة التربوي ، والتعليمي ، والتثقيفي ، أمثال : أحمد شوقي بك ، ومعروف عبد الغني الرصافي، وزكريا تامر ، ومحمد الهروي ... وغيرهم.[7]

- صورة الآخر ... الطفل:

وصورة الآخر ---- الطفل تأتي على وفق أبعاد خاصة يرديها المبدع وتريدها الذات، إذ إنَّ الكتابة في أدب الطفولة وموضوعاتها وأهداف هاتيك الموضوعات أصعب بكثيرٍ من الكتاب في أدب الراشدين الكبار في موضوعاتهم وأغراضهم واتجاهات هاتيك الأغراض.[8]

وتزداد صعوبة الأمر كما يبدو لي من مطالعاتي المتواضعة البسيطة حينما تكون هذه الصورة في أحد الأجناس الأدبية النثرية ولا سيما في الفن القصة القصيرة جداً ، إذ فيها – كما أسلفت دائماً – القصر والإيجاز ،والهدف المباشر، وهو ما يسعى إليه أديب الطفولة حتى في الشعر ، فما بالك بالقصة القصيرة جداً وشرائطها في الكتابة والإشهار والتوظيف ، حتماً يتطلب الإبداع إلى صاحبه ومقدرته الفائقة في ذلك كلّه.

- صورة الطفل في قصص حمدي مخلف الحديثي القصيرة جداً:

صورة الآخر ---- الطفل عند القاص والفنان والتشكيلي والسارد حمدي مخلف الحديثي ، صورة الذاكرة الحية التي تجدّد دائماً في كتاباته في هذا الفنّ، تلك الذاكرة التي تعيشُ بين جمال مدينة الحديثة ونواعيرها وبيت جده العتيق عتق التراث ورائحته.

صورة الآخر ---- الطفل عند القاص والفنان والتشكيلي والسارد حمدي مخلف الحديثي ، صورة الواقع المهين للأطفال في بلد القاص – العراق – ولاسيما بعد أحداث ٢٠٠٣ ، أطفال الشوارع ، أطفال الجدية والتسول، زمن الطفولة البريء الذي أُستلب منهم عنوة بلا ذنب أو سبب؟!؟!

صورة الآخر ---- الطفل عند القاص والفنان والتشكيلي والسارد حمدي مخلف الحديثي ، صورة الجمال والقبح في أنٍ معاً. الطفل هو تلك البراءة والحياة السعيدة ، وهو السراق المستجدي البائس الباكي . هنا تكمن عوامل الجمال في دراسة صورة الآخر --- الطفل في قصص القاص المبدع حمدي مخلف الحديثي كما قرأتها وكما وظّف عناصر الطفولة فيها ، عنواناً أو جسداً أو هدفاً .

دراسة الجمال مع الآخر لصورة الطفل وهيأته ما يسعى إليه هذا المحور من دراستي لجهود القاص حمدي مخلف الحديثي في كتابة القصة القصيرة جداً في العراق في الأعمال القصصية التي أصدرها إلى الآن. الدراسة الجمالية تعنى بمواطن الجمال والقبح معاً، وتعنى بمواقع الذاكرة والآنية ، ومواقع الماضي والمستقبل كذلك. الجمال هو قيمة المبدع الفنان وهو

يحاور موضوعه وما يريد الكتابة فيه ، وهو الكشف المستمر عن قيم الحب والتفاؤل في الحياة والأمل فيها ، أو هو الكشف المستمر عن قيم الكره والتشاؤم في الحياة والبؤس فيها. الجمال يرتبط بالفن والأدب منذ أفلاطون وأرسطو[9] ، ومنهما إلى باقي الفلاسفة والأدباء في العالم وعند العرب. والجمال يرتبط بالقيّم الجمالية الشكلية والفنيّة ، ويرتبط أيضاً بالقيم الجمالية الخُلقية والسلوكية ، وهو مرتبط كذلك بالقيم الايجابية من بين قيم المجتمع، وهذه القيم كلها وغيرها أيضاً يبرزها الأديب ويبثُّ حممها المثلى المميزة إلى المجتمع ويحثّه على الانقياد لها وتطبيقها والسعي لنشرها.[10]

وهناك جمالٌ للقبح أيضاً في سلوكيات المجتمع الظاهرة والباطنة، منها أنك تعرف الصدق من الكاذب ، وتعرف الأمانة من الخائن ، وتعرف الشجاعة من الجبان ، وتعرف الاخلاص من الخوّان، ومثل هذه الاخلاق والقيم مهمة للفرد والمجتمع في آن واحدٍ، يبحث عنها الأديب ويبثُّ حممها القبيحة السيئة إلى المجتمع ويحثه على الهروب منها والسعي للتحذير منها ومن حاملها مهما كان ، وأنى كان وأينما كان.

وهناك الجمال النفسي ،والجمال الخَلقي ، والجمال الطبيعي ، والجمال المصنوع[11] ، وهذه الأنواع كلّها تتردد في ذاكرة المبدع حمدي مخلف الحديثي وإبداعه في القصة القصيرة جداً وهو يستثمرها حقَّ الاستثمار في تشخيصه لصورة الآخر في هذه القصص.

الأعمال القصصية القصيرة جداً للمبدع حمدي مخلف الحديثي وفي مجلدها الأول ، وفي المجموعة الأولى تنبأنا عن استنطاق مهيب لصورة الآخر --- الطفل في بعض القصص القصيرة جداً عند هذا المبدع . هذا الحضور المهيب يشمل الذاكرة التي عاش فيها في بيروت مدة الدراسة التي انتهت إلى الأبد وبقيت صورة الحرب والقتل في مخيلة تلك الذاكرة الواقعية ، وهذه الصورة فيها جمالية التناقض والمفارقة الضدية والدرامية في تصوير الجمال للولادة من خلال القتل ولاسيما ذلك الجنين الحيّ في نفوس من سمع به ، أو أحس بحمل أمه له. الأولى ألّا يولد ، وألّا يقتل إلا في مرة واحدة . لنحاور هذه القصة القصيرة جداً محاورة تكشف عن إمكانية تصوير الآخر --- الطفل عند القاص حمدي مخلف ، ومنها إلى مواطن الجمال ونوعه في ذلك القصِّ بتصوير الآخر.

العنوان ، العتبة المركزية الأولى (القتل في لحظة الولادة)[12] حمل الدلالات المهمة للآخر – -- الطفل من أول وهلة ، كيف يسأل القارئ؟ أُجيب:

- الولادة والقتل ، مفارقتان حقيقيتان فيهما جمال المولود الجديد ، وقتله تخفيفاً لظروف الأسرة الكريمة!
- اللحظة الواحدة ، بين المفارقتين ، لحظة الولادة ولحظة القتل. وكلاهما علقمٌ ، والحمد لله !

- سواد الحياة بالقتل للجنين في بطن أمه ، وسواد الحياة لحروب البلد، المهم رائحة البارود في كل مكان ، ورائحة حرق الأزهار ... لا مكان لأطفال جدد أبداً !

المشهد الأول من القصة القصيرة جداً في هذه القصة عند القاص حمدي مخلف الحديثي يقول فيه : (أزهار ذابلة ... لا ماء ... لا شمس ... لا شمس ... نار ... دخان ... أزيز...

- كانت متفتحة حين جاءوا وسحقوها بأرجلهم ، ستحرقهم في المرة القادمة) .[13]

المشهد يختزلُ الزمن ، ويبصر في المكان جيداً من خلال الذاكرة ، (كانت)... السابقة الأولى في العدوان والظلم، (وستحرقهم) في القادم من الأيام والأعوام ، المفارقة بين الزمنين في لحظة.

المشهد الثاني من القصة القصيرة جداً هذه يقول فيها القاص : (المدخل بلا باب . أثاث مبعثر . هي تنظر إلى المهد.

- أين والدك؟
- قطعوا رأسه ، ثم لفّوه براية (الندية) وتركوك في الشارع).[14]

المشهد هنا جاء بالحدث في عنف لغوي تحمل مشاعر الذات نحو المكان والزمن معاً، الحدث قوي ترك كل شيء أشلاء لا تعرف اللمّ بعد ذلك ؟!

المشهد الأخير من القصة القصيرة جداً هذه هو الذي يبين عن ماهية صورة الآخر --- الطفل عند القاص حمدي مخلف الحديثي، هو بارعٌ حين جعلنا نتابع هذه المشاهد القصصية المروعة إلى نهاية القفلة. يقول في المشهد الأخير : (اصدروا أمراً بحرق الأزهار ،

- أعطوا دواءً لتحديد النسل ،
- القتل في لحظة الولادة ،
- جاءوا .....
- ماذا يريدون ؟!
- الجنين الذي في بطني).[15]

ليس جنيناً واحداً كان ، بل أمة تعاني قتل الأطفال دائماً إلى يومنا هذا ، الجمال هنا في مواطن القتل لحظة اللحظات التي يولد فيها القتل المنتظر المفزع ولا سيما للجنين . نعم ، كانت مأساة في الواقع نُقلت إلى القص والسرد في الأدب النثري ، وظّف المكان ووظّف الزمن وأبقى على الحدث في صراعٍ مع اللحظة لينتهي بالقتل المبطّن بالكره والحقد. صورة الآخر – -- الطفل هنا كانت في جمالية قبح القتل ، وفي لحظة الولادة السعيدة بحزن المقتل ، والمفارقات جمعت هذين النوعين من الجمال في حقيقة الواقع.

في قصته القصيرة جداً ... اتبع القاص حمدي مخلف الحديثي النسق نفسه في الحكي واستثارة مظاهر الجمال ، تلكم القصة التي حملت عنواناً هو : (الولادة)[16] ، من المجموعة القصصية نفسها.

وأما في قصته القصيرة جداً (الطائرة الورقية) [17]، فالحدث هنا تمحور وقضية اللعبة بهذه الشكل الورقي المحبب إلى الأطفال دائماً. صورة الآخر --- الطفل هنا لا تخلو من جمال البراءة ، وقبح هذه الأسلاك وخطورتها على الجميع ، ولا سيما ذلك الطفل للعبة ببراءة الحياة ونشوة الوقت . (طائرة من ورق ملوّن طفل يسمك بخيط الطائرة .....

ينقطع الخيط تسقط الطائرة على أسلاك الكهرباء.....

يتسلّق،

لامس أسلاك الكهرباء).

القفلة هنا بقيت مفتوحة ، لا يريد القاص البوح عنها ن تركها للقارئ المجتهد الذي سيوفق في اختبار وضعها بمفارقة لا تنجو من مظاهر الجمال القبيح !!!

المجموعة القصصية القصيرة جداً الثانية التي تحمل عنواناً هو – وقد أوضحته للقارئ الكريم في المحور السابق – : (حدائق الأطفال الملغومة)[18] . لا تخرجُ عمّا قدمت فيه القول من صراع الأطفال والحياة في بيروت على وجه الخاصية والذكر . وأغلب هذه القصص استنطقت الجمال بقبح الواقع المعيش من ويلات الحرب ، إذن : لا طفولة تذكر أو ترتجى مما فيه الأهل والاباء والامهات ، أن بقوا . ولنقل مثل هذا الكلام عن باقي المجموعات القصصية القصيرة جداً في هذا المجلد من أعمال القاص المبدع حمدي مخلف الحديثي.

الأعمال القصصية القصيرة جداً في مجلدها الثالث ؛ إذ إنَّ المجلد الثاني لما ينشرْ إلى الآن ، لم تكنْ ذات تركيز عالٍ على صورة الآخر--- الطفل كثيراً ، فقصص هذه المجلد تعالقت مع الفنانين والتشكيلين من العراقيين وعتبات العنوان وجسد كل قصة قصيرة جداً منها ، كما أوضحت مسبقاً، وسأعود في المحور القادم من هذا القسم من كتابي هذا ، إن شاء الله تعالى .

وأما عن المجموعات القصصية القصيرة جداً التي احتجنها المجلد الرابع من: (ليست ثرثرة) ، و(عبّاد الشمس) ، فهما قد تخللا نوعاً الإشارة إلى صورة الآخر --- الطفل ، وهي إشارة امتزجت مع جمالية الشخوص الراشدين داخل جسد القصة من الذات وحقائق تلكم الشخوص أم من الخيال الموهوم واستضافة القاص له في قصص إيجازاً وإيحاءً وتكثيفاً وتعبيراً. وهذه الصورة كانت متفائلة في الكثير منها ، وحرّكت مشاعر الآخر نحو حبّ الحياة وعكس صورة واقعية قريبة إلى الأمل موازنة بما قرأتُ وقرأ معي القارئ من قصص المجموعات القصصية القصيرة جداً السابقة .

مجموعة (طيور الرأس) ، احتوت بعض مظاهر الآخر --- صورة الطفل ، وهي مجموعة قصصية رائعة في اللغة وشعريتها ، ومفارقاتها ، وعناصرها لا أملُّ منها . من تلك الصور للآخر ----- الطفل ، قصته القصيرة جداً التي عنوانها (غرق)، وفيها صورة حركية موهمة بالأمل مفعمة بالحيوية للطفل وبراءته. يقصُّ علينا قائلاً : (أحبُّ النهر ...

طفولتي غرقت فيه يوم

كان جدي يعلمني السباحة

وجدي هذا ...

بعد زمن غرق ولم نعثر على جثته).[19]

القصة هنا أحلام الطفولة في بواكير سنّها ، صورة الجدِّ المضحي من أجل هذا الطفل لقد تعلّم السباحة والعوم في نهر الفرات الخالد. القصة القصيرة جداً هنا خلّفت مشاعر البهجة والفرح خففت من غلواء التشاؤم في صورة الطفل السابقة ، وهي حملت مفارقة تشكيلية بموت الجدّ المسكين ، الموت لم يكون حقيقة تقصفُ بالذات وهمومها بهذا الفقد ، كانت مفارقة صنعها القاص وما أحسن ما صنع .

كتب القاص المبدع حمدي مخلف الحديثي مجموعته القصصية القصيرة جداً (تراتيل طفولة) من وحي خيال صادم في أدب الأطفال ربتما لم يتنبه أحدٌ إليه من الدارسين والكتّاب والنقّاد في أدبنا العربي والعراقي في هذا النوع من الأدب . لقد حملت المجموعة القصصية القصيرة جداً هذه والتي طُبعت ونُشرت في دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ببغداد ، بطبعته الأولى ، سنة ٢٠٢٢، بلوحة الغلاف التشكيلي الفنان حمدي مخلف الحديثي بسنة ليست بعيدة عن النشر إذ سمها سنة ١٩٧٥. مفارقات جديدة في الموضوعات التي طرحتها هذه المجموعة القصصية ، من العرافة والسحر والدجل وأثرهما المحبب عند الأطفال ، جمال القبح الذي يخرج عن الدين وموجبات الالتزام به منذ مراحل السنّ المبكرة عند الطفل كانت من تراتيل القاص حمدي مخلف في مجموعته هذه . الحيوانات ولا سيما الداجنة منها ، والطيور كانت من بين تلك التراتيل التي اسمعنا لحنها الساحر القاص حمدي مخلف الحديثي في مجموعته القصصية القصيرة جداً هذه. الأسرة ، ذلك الجدّ الخالد عاد إلى الحياة وعادت معه صورة الأمل في تراتيل حمدي مخلف القصصية هنا ، جماليات كثر قصّها علينا حمدي بلغة شعرية تدعو إلى التفاؤل ، وبعناصر مميزة كثيرة من الإنسان والحيوانات والطيور والنهر والناعور والضفاف والسجائر والنساء... الطفولة هي صورة ---- الآخر الجميلة الحيّة التي يرد البوح عنها القاص حمدي مخلف الحديثي في مجموعته القصصية هذه.

قصته القصيرة جداً من بين قصص هذه المجموعة التي طُبعت منفردة من بين أعمال القاص والروائي حمدي مخلف الحديثي والتي تحملُ عنواناً هو : (عرّافة) ، تحملُ مفارقات

كثر في الزمن والمكان والحدث ، لا تبعد عن الخرافة الحقيقية والتي ترتقب من العرافة . صورة الطفل --- الآخر في نشوة الحوار والتسلّي بالمستقبل الذي أدى إلى إعدام العرّافة وخلاص الناس منها ، ولو حُلماً .

(عرّافة

مرّت بالزقاق

رأتني مع أمي

قالت لأمي :

- سيكون ولدك وزيراً .

- وما أن عرف السلطان بما قالته العرّافة أصدر أمراً بسجني وإعدام العرّافة) .[20]

الحيوانات ومظاهر الجمال القبيح فيها ، الشاة – النعجة التي حملت عنوان قصة قصيرة جداً من بين قصص هذه المجموعة ، توغل في القبح للنعجة هذه وحليبها المفارق للألفة والمحبة كما شربناه دائماً. الأب حذّر تحذيراً صريحاً ، والطفل سيأكل أخاه أسوة بأولاد النبي آدم – عليه السلام – .

(جاء أبي بالنعجة السوداء إلى البيت .

قلتُ له :

- حليبها حنظل ... لا تحلبها أن فعلتَ سأشرب منه ، وأتحول إلى ذئب وأكل لحم شقيقي) .[21]

(رقص ... سمكة ...)، صورة أخرى من صور الجمال القبيح للذات ، إنها الصورة المفترسة التي تعيشُ في الأنهار والجداول ، مع صورة الآخر --- الطفل وهو يسمعُ كثيراً عن ابتلاع السمكة الجائر للأطفال ، فما بالك بصورة الشقيق الذي غرق ورقصت على لحمه المتعفن بالماء تلك السمكة .

(رقص

النهر عندما أستلم جثة شقيقي الذي غرق وهو بعمر عام واحد ... بينما السمكة تلذذت باللحم الطازج).[22]

لا نعدم في هذه المجموعة القصصية القصيرة جداً عند القاص المبدع حمدي مخلف الحديثي توصيفه للكثير من العادات الاجتماعية داخل المجتمع العراقي ، والأسرة العراقية التي تعكس مظاهر الجمال في صورته القبيحة . صورة زوج الأب كانت دائماً مثالاً للحقارة والبغض – في فكر الأطفال وذهنهم – وهذه الصورة كانت من بين مصادر الصورة الاجتماعية لواقع ربما عاش فيه القاص حمدي ونقله إلى مَن يريد سماعه في إحدى قصصه

القصيرة جداً في هذه المجموعة . القصة هنا حملت عنوان : (حراسة) ، وجسدها الحكائي يقول :

(تحرسني ... تراتيل طفولتي ، والمشعوذة زوج أبي ترمي في طريقي المسامير وأبي...
جمع المسامير ليدقها في ظهري...
هو هكذا كلما رمت زوجه المسامير).[23]

شاخ القاص وشاخت معه قصصه ، وبقيت الذاكرة تحدثنا عن بيت جدّه القريب من النهر في دراما ضدية تحمل المفارقة بين الزمان والمكان رايتها الخفّاقة لتحقق صورة الآخر في التعبير والقصّ ، وتشكيل الجمال بموحياته المتنوعة . القصة القصيرة جداً التي تحملُ العنوان (بيت جدّي)[24]. احتوت على مشاهد عدّة وذهبت إلى مرحلة ما بعد الطفولة واقعاً، وبقيت الذاكرة ترتّل مواطن الجمال في قبح موت الجدّ الذي يكرره القاص دائماً ، ويبدو أنه كان عزيزاً محموداً عنده كثيراً.

اللون ودلالته ولاسيما اللون الأسود هو مظهرٌ من مظاهر الجمال في قبح مراحل العمر عند ذلكم الطفل وملاعبه وثوبه . القصة القصيرة جداً (رسم) تقصُّ علينا ذلك في صورة أخرى من صور الآخر --- الطفل عند القاص حمدي مخلف الحديثي:

(أرسمُ على ثوب عمري ملاعب طفولتي وأخطاء مراهقتي وألوانها باللون الأسود).[25]

حتى الحمائم أصبحت صورة القبيح الجميل في قصص حمدي مخلف الحديثي في مجموعته القصصية هذه. قصته القصيرة جداً التي تحملُ عنوان : (ما بها...)، تدّلنا على ذلك بوضوح . يقول القاص فيها :

(ما بها حمائم اليوم؟ إنها تسرق حبّات قمح الطفولة).[26]

وإلى باقي هذه المجموعة كانت كلّها في تراتيل الأطفال منذ الولادة إلى الصبا إلى الشباب ، كانت تحمل صوراً عدّة للطفل ، بمفارقات عدّة بجمال شكلي ونوعي وطبيعي ونفسي واجتماعي وديني يصف معاني القبح ويحومُ حوله في سرد متكامل اللغة والعناصر والهدف . احبَّ هذا الرجل القاص المبدع حمدي مخلف الحديثي طفولته كثيراً على ما يبدو مهما كانت بها من منغّصات ، وأحبَّ نقلها إلى القارئ ولا سيما الطفل، وهي على ما ذكرت قصص ذات أهداف تربوية تعليمية هادفة.

خاتمة ونتائج البحث :

بعد رحلة علمية أدبية فكرية ثقافية – أحسبها عليَّ أيها القارئ اللبيب – مع قصص حمدي مخلف الحديثي القصيرة جداً، وفي أعماله القصصية التي صدرت أقولها حقيقة ولا رياءَ استمتعتُ جداً بالقراءة والتقصي في أعمال هذا القاص المبدع ، ولا سيما مع زوايا غابت عن الآخرين ودراستها مجدداً سيغني الدرس الأدبي والمقدي المعاصر غنىً لا بدّ منه على صعيد القصة القصيرة جداً في العراق والعالم العربي. النتائج كانت على وفق الآتي:

– القاص حمدي مخلف الحديثي قاص مبدع ،وله ريادة مستحقّة في النتاج القصصي السردي الذي نشره ، والذي لما يزل قيد النشر.

– القاص حمدي مخلف الحديثي رجل موهوب فكرياً وثقافياً وأدبياً وتشكيلياً تشهد له بذلك قائمة آثاره الكبيرة التي أصدرها في الفنون المتنوعة والآداب المختلفة ، ولما يزل يصدر في النقد والفن والأدب والرواية والقصة والتشكيل ، مدَّ الله في سنه وبارك في قلمه .

– تأتي صورة الطفل في قصص القاص حمدي مخلف الحديثي بصورة واقعية ولا سيما مع صور الأطفال في العالم العربي ، وما مرّت به الطفولة في العالم العربي من أزمات وظلم وجور .

– تأتي صورة الطفل في قصص القاص حمدي مخلف الحديثي بصورة جمالية مع مظاهر الطبيعة الثابتة أو الحية ، ولا سيما مع صورة الذات وهي تبدع في سرد هذه القصص في مدينة القاص في بواكير طفولته.

– تأتي صورة الطفل في قصص القاص حمدي مخلف الحديثي متداخلة مع عناصر السرد القصصي المعروفة ولا سيما مع المكان ، الأليف أو المعادي، وهي صور حقيقة في الغالب كُتبت بلغة شعرية عالية ، وبإيقاعات صوتية محببة إلى النفس والشعور.

– استثمر القاص المبدع حمدي مخلف الحديثي ثقافته الفنيّة التشكيلية العالية في رسم صورة الطفل العراقي والعربي بصورة جمالية ، وأفاد كثيراً من مزايا الشكل والمضمون في الأفكار والعاطفة واللغة لتأتي قصصه بهذا التأثير في نفس القارئ وفكره ومشاعره.

الهوامش والإحالات :

*حمدي مخلف الحديثي من أدباء قضاء الحديثة غرب الأنبار وغرب العراق، فنان وتشكيلي وناقد وقاص وروائي ، يعيش ببغداد ، له الكثير من المؤلفات المتنوعة أربت على المئة في الآدب المتنوعة والفنون المختلفة . ويعدُّ من روّاد العراق في القصة القصيرة جداً نقداً وكتابة.

١. ينظر فضلاً من مثل هذه الدراسات : صورة الآخر في الشعر العربي، بين الأنا والآخر في مدحيات المتنبي، الآخر في الشعر الجاهلي (رسالة ماجستير).

٢.ينظر فضلاً: الأنا والآخر الجماعة (دراسة في فلسفة سارتر ومسرحه)، صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه (مجموعة أبحاث)، صورة الآخر في الخطاب القرآني (دراسة نقدية جمالية).

٣.ينظر فضلاً : الأنا والآخر في ديوان أبي نواس:(رسالة ماجستير) ،الآخر في الشعر الجاهلي (رسالة ماجستير)، الآخر في شعر النساء في العصرين الجاهلي والاسلامي (أطروحة دكتوره) ، الذات والآخر في شعر لسان الدين بن الخطيب) رسالة ماجستير).

٤. ينظر فضلاً : الدراسات في هامش رقم (١) ، وهامش (٢) من هذه الصحيفة.

٥. ينظر فضلاً : الدراسات في هامش رقم (١) ، وهامش (٢) من هذه الصحيفة.

٦. ينظر مثلاً : في أدب الاطفال ، في أدب الاطفال – أسسه وتطوره وفنونه وقضاياه ونماذج منه – ، مقدمة في أدب الاطفال ، النص الأدبي للأطفال –أهدافه ومصادره وسماته – .

٧. ينظر فضلاً : الدراسات في هامش رقم (٦).

٨. ينظر مثلاً: مقدمة في أدب الاطفال : ص٧٨ ، النص الأدبي للأطفال ، أهدافه ومصادره وسماته : ص٣١ .

٩. ينظر : في النقد الأدبي الحديث – منطلقات وتطبيقات – : ص٢٨ .

١٠. ينظر: القيم الجمالية في الشعر الأندلسي – عصرا الخلافة والطوائف – : ص٥٦-٥٧ .

١١. ينظر : النقد الجمالي وأثره في النقد وأثره في النقد العربي :ص٣٤ وما بعدها وصحائف متفرقة من الكتاب .

١٢. ينظر : الأعمال القصصية (المجلد الأول):ص٢٠-٢١ .

١٣. الأعمال القصصية (المجلد الأول):ص٢٠ .

١٤. الأعمال القصصية (المجلد الأول):ص٢٠ .

١٥. الأعمال القصصية (المجلد الأول):ص٢١ .

١٦. الأعمال القصصية (المجلد الأول):ص٢٧ .

١٧. الأعمال القصصية (المجلد الأول):ص٣٠ .
١٨. ينظر : الأعمال القصصية (المجلد الأول):ص٣٧ .
١٩. الأعمال القصصية (المجلد الرابع): ص١٦٩ .
٢٠. تراتيل طفولة (نصوص) : ص٤ .
٢١. تراتيل طفولة (نصوص): ص٥ .
٢٢. تراتيل طفولة (نصوص): ص٧ .
٢٣. تراتيل طفولة (نصوص): ص٨ –٩ .
٢٤. ينظر : تراتيل طفولة (نصوص): ص٢٠ –٢١ .
٢٥. تراتيل طفولة (نصوص): ص٢٤ .
٢٦. تراتيل طفولة (نصوص): ص٢٥ .

Abstract* Research library:

- The self and the other, the group (a study in Sartre's philosophy and theater): Dr. Souad Harb, Dar Al-Muntakhab Al-Arabi - Beirut, 1st edition, 1994.

-The Self and the Other in the Diwan of Abu Nawas: Nour al-Huda Riwaq, (Master's thesis), Muhammad Khaydir University - Biskra, Algeria, 1937 AH - 2016 AH.

-The Other in Pre-Islamic Poetry: Mai Odeh Ahmed Yassin, (Master's Thesis), College of Graduate Studies at An-Najah National University, Nablus - Palestine, 2006 AD.

-The Other in Women's Poetry in the Pre-Islamic and Islamic Eras: Ahmed Salman Abdullah Muhanna, (Doctoral thesis), Faculty of Arts at the Islamic University of Gaza - Palestine, 1439 AH - 2017 AD.

-Narrative works (first volume): Hamdi Mikhlif Al-Hadithi, Al-Yusr Press - Haditha, Iraq, 1st edition, 2021. The short story collections include:

-Layouts.

-Mined children's parks.

-Maybe today, maybe tomorrow.

-Ghafir family.

-Other issues.

−Third issues.

−Sales cases.

−Narrative Works (Fourth Volume): Hamdi Mikhlif Al-Hadithi, Al-Yusr Press - Haditha, Iraq, 1st edition, 2023. The short story collections include:

−It's not gossip.

−Sunflowers.

−Cape birds.

−Between the ego and the other in Al-Mutanabbi's praises: Dr. Muhammad Abdel Latif, Cairo, 1st edition, 1998.

−Childhood Hymns (Texts): Hamdi Mikhlif Al-Hadithi, Dar Al-Haditha - Baghdad, 1st edition, 2023.

−The Self and the Other in the Poetry of Lisan al-Din Ibn al-Khatib: Issam Hamid Hamad Yusuf al-Dulaimi, Master's thesis, College of Education at Tikrit University/Iraq, 1434 AH-2013 AD.

−The Image of the Arab Other Looking and Looking at Him (Research Collection): Edited by: Al-Taher Labib, Center for Arab Unity Studies - Beirut, 1st edition, 1999 AD.

−The image of the other in the Qur'anic discourse (a critical and aesthetic study): Dr. Hussein Obaid Al-Shammari, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut, 1st edition, 2008 AD.

−The image of the other in Arabic poetry: Dr. Fawzi Saad Issa, Al-Babtain Foundation for Poetic Creativity - Kuwait, 1st edition, 2011.

−In children's literature: Dr. Ali Al-Hadidi, Cairo, 1992.

−In children’s literature - its foundations, development, arts, issues and models -: Dr. Muhammad Saleh Al-Shanti, Riyadh, 1996.

−In modern literary criticism: Dr. Nusrat Abdel Rahman, Al-Aqsa Library - Amman, 1st edition, 1979 AD.

−Aesthetic values in Andalusian poetry - the eras of the Caliphate and sects -: Dr. Azad Muhammad Karim Al-Bajlani, Dar Ghaida - Amman, 1st edition, 2013.

−Introduction to children’s literature, the literary text for children - its goals, sources and characteristics -: Muftah Muhammad Diab, Tripoli - Libya, 1985.

−Literary text for children - its goals, sources and characteristics -: Dr. Saad Abu Al-Rida, Amman, 1993.

−Aesthetic criticism and its impact on criticism and its impact on Arab criticism: Dr. Rose Gharib, Dar Al-Ilm Lil-Millain - Beirut, 1st edition, 1952.